مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٥)، العدد (١)، ص ص ٨٣-١٤٩، (محرم ١٤٣٣هـ/نوفمبر ٢٠١١م)

تفسير ثمان آيات مهمات من سورة النساء

د. علي بن عمر السحيباني
أستاذ مشارك في قسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم

(قدم للنشر في ١٤٣٢/٥/٢٨هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٣٣/٣/١٣هـ)

ملخص البحث. هذا ملخص لبحث:(ثمان آيات مهمات من سورة النساء)

يتألف هذا البحث من مقدمة، وتمهيد وستة مباحث، وخاتمة.

المقدمة وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره،والتمهيد فيه نص الآثار عن ابن عباس وابن مسعود -رضي الله عنهما- وعزوها إلى من خرجها من علماء السنة والحكم عليها،

والمبحث الأول:الحديث عن الآيات الثلاث الأول: وفيها إرادة الله لنا البيان لهذا الدين، والهداية إليه، والتوبة من الذنوب والخطايا، والتخفيف من التكاليف،وإرادة متبعي الشهوات لنا الميل العظيم إلى الشهوات المحرمة. والمبحث الثاني: فيه الضمان من الله لمن اجتنب الكبائر أن تكفر عنه الصغائر،ويدخل المدخل الكريم. والمبحث الثالث: فيه تنزيه الله سبحانه عن الظلم بجميع صوره فلا نقص في الحسنات ولا زيادة في السيئات، بل مضاعفة الحسنات مع إيتاء الأجر العظيم. والمبحث الرابع: وفيه أن المشرك مفتر على الله، وأن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة،وما عداه من الذنوب فتحت المشيئة. والمبحث الخامس: فيه ضمان المغفرة والرحمة لمن أتبع الظلم والسوء بالاستغفار. والمبحث السادس:فيه ثبوت الأجر للمؤمنين بالله ورسله، والبشارة لهم بالمغفرة والرحمة.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ البلاغ المبين، وبين لنا الصراط المستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فقد أنزل الله كتابه هدى ونورا ومنهجا للحياة الدنيا والآخرة، فقد أوضح فيه سبحانه كل ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ وفضل بعض سوره وآياته على بعض في الأجر والثواب، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم، وهو المبلغ عن ربه عز وجل، بما للزهراوين من الفضل[١]، وأن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن[٢]، وأن آية الكرسي: أعظم آية في كتاب الله[٣]، وهناك آيات ورد فيها آثار عن بعض السلف أن لها مزايا وتختص بخائص قد لا تجتمع في غيرها، فمن ذلك ما ورد عن ابن عباس، وابن مسعود، في ثمان آيات من سورة النساء، أنهن خير لهذه الأمة من الدنيا جميعا، وفي لفظ: خير مما طلعت عليه الشمس وغربت، وهذان الصحابيان ممن شهد لهما النبي صلى الله عليه وسلم، فقد دعا لابن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٣/١ح٨٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب فضل(قل هو الله أحد) ١٠٤/٦ ح٥٠١٣، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة(قل هو الله أحد) ٥٥٦/١ح٨١١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب فضل البقرة ١٠٤/٦ ح٥٠١٠، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٥٥٥/١ح٨١٠.

عباس بقوله: (اللهم علمه الكتاب، وفي رواية: اللهم علمه الحكمة) [٤]، وفي رواية (اللهم فقهه)[٥]، وقال في عبد الله ابن مسعود: (استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل)[٦]، وفي رواية: (من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)[٧] ولا شك أن المؤمن الحريص على الأجر والثواب الجزيل، يسعى لما يرفع درجاته ويحط عنه سيئاته، ولذا يرغب في الوقوف على ما ورد من المزايا والخصائص التي توفرت في تلك الآيات، والذي لا يعدله كل ما على وجه الأرض من كنوز وخيرات، ولذلك أحببت أن أقف على ما كتبه علماء المسلمين قديما وحديثا في تفسير هذه الآيات، وأن أسجل ما أراه جديرا بأن يطلع عليه المرء المسلم، ليدرك ما يترتب على ذلك من الفضل والأجر العظيم من الله، محاولا الاختصار والاقتصار على ما يفي بالغرض في أوجز عبارة، مع الاستيعاب لكل فقرة من فقرات هذا الموضوع، وذلك ليسهل فهمه وتعم الفائدة منه، مع العلم بأن طرق تلك الآثار المروية كلها فيها مقال، لكن يؤخذ بها من باب الاستئناس، فقد قرر العلماء أنه قد يكون السند ضعيفا ومعنى المتن صحيحا، لكونه تشهد له آثار أخرى، أو الأصول العامة من الكتاب والسنة [٨]، وهذا

---

(٤) أخرجهما البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما ٢١٧/٤ ح٣٧٥٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ١٩٢٧/٢ح٢٤٧٧.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الأصحاب باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٣١٨/٤.

(٧) أخرجه ابن ماجه في المقدمة فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٤٩/١ح١٣٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٩/١ح١٣٨.

(٨) ذكر ابن تيمية عن الإمام أحمد: إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الأسانيد، وإذا جاء الترغيب والترهيب

ما أراه في هذه الآثار التي معنا، فإن الناظر في تلك الآيات يلحظ مالها من المنزلة العالية والمتميزة، ولذا سقت الآثار المروية فيها وأشرت إلى حكم العلماء عليها، ليكون القارئ على بينة من طرق تلك الآثار، ويقف على حكم العلماء عليها، سائلا الله العلي القدير أن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يجعل ذلك العمل خالصا لوجهه إنه جواد كريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تأتي أهمية هذا الموضوع، لكونه يبحث في آيات من كتاب الله العزيز، ولعظم الأجر المترتب على قراءة تلك الآيات ومعرفة تفسيرها، والحرص على الوقوف على تلك المزايا التي انفردت بها هذه الآيات، والرغبة في خدمة كتاب الله، والإسهام في نشر العلم الشرعي، وإبراز جهود السلف قديما وحديثا في خدمة كتاب الله.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، ثم الفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره.

تمهيد: في ذكر نص الآثار عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، وعزوه إلى من خرجه من علماء السنة، والحكم عليها.

=تساهلنا في الأسانيد؛وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، مجموع الفتاوى ٦٥/١٨، وقال ابن القيم: فكل حديث يشتمل على فساد أو ظلم أو عبث أو مدح باطل أو ذم حق أو نحو ذلك: فرسول الله صلى الله عليه وسلم منه بريء: المنار المنيف ص٥٧، وقال ابن عثيمين في حديث: (كل قرض جر منفعة فهو ربا)حديث ضعيف أما معناه فصحيح، الشرح الممتع ١٠٩/٩، وقال في٤١٧/١٢: وأما الحديث الذي ذكروه فهو ضعيف، ولكنه من حيث النظر صحيح.

المبحث الأول: إرادة الله لنا: البيان، والهداية، والتوبة، والتخفيف، وإرادة متبعي الشهوات لنا الميل العظيم الآيات رقم ٢٦، ٢٧، ٢٨.

المبحث الثاني: ضمان الله لمن اجتنب الكبائر بتكفير الصغائر وإدخاله المدخل الكريم، الآية رقم ٣١.

المبحث الثالث: تنزه الله سبحانه عن الظلم مع تضعيفه للحسنات وإيتائه الأجر العظيم، الآية رقم ٤٠.

المبحث الرابع: أن الشرك هو الذنب الذي لا يغفر إلا بالتوبة، وما عداه فتحت المشيئة، والمشرك مفتر على الله، الآية رقم ٤٨.

المبحث الخامس: ضمان المغفرة، والرحمة، لمن أتبع السوء والظلم بالاستغفار، الآية رقم ١١٠.

المبحث السادس: ثبوت الأجر للمؤمنين بالله ورسله، والبشارة لهم بالمغفرة والرحمة، الآية رقم ١٥٢.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

قائمة المصادر والمراجع.

منهجي في البحث

أثبت نص الأثر الوارد عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما، كما ورد في كتب السنة وكتب التفسير، وذكرت حكم العلماء عليه، حسب ما توصلت إليه.

أثبت الآيات الواردة في النص بالرسم العثماني، ورتبتها على حسب ترتيبها في سورة النساء مع ذكر أرقامها، وكذلك الآيات المستشهد بها أثبتها بالرسم العثماني مع عزوها إلى سورها وذكر أرقامها.

خرجت الأحاديث الواردة في البحث، وإذا كانت في غير الصحيحين حاولت ذكر حكم العلماء عليها حسب ما توصلت إليه.

سلكت منهج التفسير التحليلي للآيات، مع الإشارة أحيانا إلى ما يخدم تلك الجزئية من التفسير الموضوعي، مراعيا الاقتصار على ما يحقق الغرض.

اعتمدت على أهم المصادر من كتب السنة والتفسير واللغة.

ختمت كل مبحث بذكر ما يستنبط من الآيات.

لم أترجم للأعلام، لعدم أهمية ذلك في مثل هذه البحوث.

وضعت خاتمة للبحث دونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد بذلت جهدي في تحري الصواب، فإن وفقت فمن الله، وله الحمد على ما يسر، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وأستغفر الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

قال أبو جعفر الطبري: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن رجل، عن ابن مسعود. قال: في خمس آيات من سورة (النساء): لهن أحب إلي من الدنيا جميعا: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ النساء: ٣١ وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٤٠ وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٤٨ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا

رَّحِيمًا ﴾ النساء: ١١٠ وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ١٥٢، (٩)

وقال أيضا ابن جرير : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو النضر ، عن صالح المري ، عن قتادة عن ابن عباس ، قال : ثمان آيات نزلت في سورة (النساء)هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت ، أولاهن : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ النساء: ٢٦.والثانية : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٢٧.والثالثة : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٢٨.

ثم ذكر مثل قول ابن مسعود سواء ، وزاد فيه : ثم أقبل يفسرها في آخر الآية : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ ﴾ للذين عملوا الذنوب﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٠)

وأخرجه سعيد بن منصور في سننه ، عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله : إن في النساء لخمس آيات ما يسرني بهن الدنيا وما فيها ، وقد علمت أن

---

(٩) جامع البيان ٦٦٠/٦، وأخرجه ابن المنذر ص٦٧٤، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ١٥٤/١رقم ٥٦٠، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص١٥٠، وسعيد بن منصور في فضائل القرآن من سننه ١٢٩٧/٤رقم٦٥٩، والطبراني في المعجم الكبير ٢٥٠/٩رقم٩٠٦٩، والحاكم٣٠٥/٢وقال صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه فقد اختلف في ذلك، وقال الذهبي مثل ذلك.وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ١١/٧-١٢.

(١٠) جامع البيان ٢٥٧/٨وقال أحمد شاكر: (وصالح المري)هو: صالح بن بشير بن وداع المري القاص روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة وغيرهم، كان رجلا صالحا، ولكنه يروي أحاديث مناكير تنكرها الأئمة عليه، وهو متروك الحديث مات سنة ١٧٢أو سنة ١٧٦.، وتفسير عبد الرزاق ١٥٥/١-١٥٦،

العلمـاء إذا مـروا بهـا يعرفونهـا : قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ النساء: ٣١،

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ،

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾،

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ١٥٢

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.(١١)

وذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه لأبي عبيد في (فضائله)وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود، ثم ذكر بقية حديثه.(١٢)

وأخرجه هناد في الزهد، فقال: حدثنا أبو معاوية، عن الشيباني، عن عطاء البزاز، عن بشير الأودي قال: قال عبد الله بن مسعود:

---

(١١) سنن سعيد بن منصور ١٢٩٧/٤ح٦٥٩، وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي، روى عن أبيه ولم يسمع منه إلا شيئا يسيرا، وقد تكلموا في روايته عن أبيه، وكان صغيرا، ينظر الجرح والتعديل للرازي ٢٤٨/٥رقم ١١٨٥، و ذيب التهذيب ٢١٥/٦-٢١٦ رقم ٤٣٣.

(١٢) الدر المنثور ٣٥٥/٤، وفضائل القرآن لأبي عبيد ص٢١٠رقم٥٣٢، وتفسير ابن المنذر ص٦٧٤رقم١٦٧٣، والمعجم الكبير للطبراني ٢٥٠/٩رقم٩٠٦٩، والمستدرك للحاكم ٣٠٥/٢، وقال: هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه، فقد اختلف في ذلك، وأقره الذهبي، وشعب الإيمان للبيهقي ٣٦٠/٥-٣٦١رقم٢٢٠٢، وذكره الشيخ هود الهواري في تفسير كتاب الله العزيز بدون سند ٣٨٢/١، وكذلك ذكره ابن عطية بدون سند المحرر الوجيز ٩٨/٤.

أربع آيات من كتاب الله عز وجل أحب إلي من حمر النعم وسودها، قالوا: أين هن؟

قال: إذا مر بهن العلماء عرفوهن، قالوا له: في أي سورة؟قال: في سورة النساء...، ثم ذكر الآيات السابقة، عدا قوله تعالى:

﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾.(١٣)

المبحث الأول: إرادة الله لنا: البيان، والهداية، والتوبة، والتخفيف، وإرادة متبعي الشهوات لنا، الميل العظي

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ النساء: ٢٦-٢٨.

مناسبة الآيات لما قبلها

هذا تذييل يقصد منه استئناس المؤمنين واستنزال نفوسهم إلى امتثال الأحكام المتقدمة من أول السورة إلى هنا، فإنها أحكام جمة وأوامر ونواهٍ تفضي إلى خلع عوائد ألفوها، وصرفهم عن شهوات استباحوها، كما يفيد ذلك قوله بعد هذا

(١٣) كتاب الزهد لهناد بن السري ٤٥٤/٢-٤٥٥رقم٩٠٣، وبشير الأودي كوفي مجهول يروي عن ابن مسعود، روى عنه عطاء البزاز، ذكره البخاري في تاريخه ٩٦/٢رقم١٨١٦وسكت عنه، وبيض له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٨٠/٢رقم١٤٨٠، والراوي عنه هو عطاء بن عطاء البزاز مولى أبي عوانه اليشكري، وهو مجهول الحال، ذكره البخاري في تاريخه ٤٦٧/٦رقم ٣٠٠٦وسكت عنه، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٣٩/٦رقم١٨٧٦.وعليه فالأثر ذا الطريق يكون ضعيفا، والله أعلم.

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ أي الاسترسال على ما كانوا عليه في الجاهلية، فأعقب ذلك ببيان أن في ذلك بيانا وهدى، حتى لا تكون شريعة هذه الأمة دون شرائع الأمم التي قبلها، بل تفوقها في انتظام أحوالها، فكان هذا كالاعتذار على ما ذكر من المحرمات، فقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ تعليل لتفصيل الأحكام في مواقع الشبهات كي لا يضلوا كما ضل من قبلهم، ففيه أن هذه الشريعة أهدى مما قبلها(١٤).

وقيل: هو استئناف بياني كأن قائلا يقول ما هي حكمة هذه الأحكام وفائدتها لنا وهل كلف الله تعالى أمم الأنبياء السابقين إياها أو مثلها فلم يبح لهم أن يتزوجوا كل امرأة وهل كان ما أمرنا به ونهانا عنه تشديدا علينا أم تخفيفا عنا؟فجاءت هذه الآيات مبينة أجوبة هذه الأسئلة التي من شأنها أن تخطر بالبال بعد العلم بتلك الأحكام، وحذف مفعول ليبين لتتوجه العقول السليمة إلى استخراجه من ثنايا الفطرة القويمة (١٥).

وقال ابن القيم: (ولما كان العبد له في هذا الباب(أي باب النكاح)ثلاثة أحوال: حالة جهل بما يحل له ويحرم عليه، وحالة تقصير وتفريط، وحالة ضعف وقلة صبر، قابل سبحانه جهل عبده بالبيان والهدى، وتقصيره وتفريطه بالتوبة، وضعفه وقلة صبره بالتخفيف) (١٦).

قوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية، والفرق بينهما: أن الإرادة الشرعية: تتعلق بما يحبه الله ويرضاه فقط، وقد يقع فيها المراد وقد لا يقع.

---

(١٤) التحرير والتنوير ١٨/٥.
(١٥) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٢٨/٥،
(١٦) الضوء المنير على التفسير ١٩٨/٢.

وأما الإرادة الكونية: فتتعلق بكل ما شاءه الله سبحانه، وقد يكون محبوبا لله وقد يكون مكروها له، ولا بد أن يقع فيها المراد؛ لأنها بمعنى المشيئة (١٧).

والله سبحانه يحب أن يبين لنا، وقد فعل ذلك سبحانه وبين لنا غاية البيان، بلسان عربي مبين.واللام في ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ زائدة مؤكدة لإرادة التبيين (١٨).

قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: طرائقهم الحميدة واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها، والسنن: الطرق، فالمعنى: يدلكم على طاعته، كما دل الأنبياء وتابعيهم، وقيل: معنى الكلام: يريد الله ليبين لكم سنن من قبلكم من أهل الحق والباطل، لتجتنبوا الباطل وتجيبوا الحق، ويهديكم إلى الحق.

والهداية تنقسم إلى قسمين: هداية توفيق وإلهام، وهذه خاصة بالله سبحانه وتعالى، مثالها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ القصص: ٥٦.

وهداية دلالة وإرشاد: ومثالها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ فصلت: ١٧.وهذه عامة للدعاة والمصلحين (١٩).

قوله: ﴿سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ جمع سنة وهي الطريقة، والمراد بسننهم ما كانوا عليه من الشرائع، لكن الشرائع تختلف باختلاف الأمم واختلاف الأزمنة والأمكنة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥٩/٨-١٦٠، وتفسير سورة النساء للعثيمين ٢٣٧/١.
(١٨) الكشاف للزمخشري ٢٦٣/١، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ١٧٦/١، والمحرر الوجيز ٨٨/٤، وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ٦٥٩/٣أن فيها أربعة مذاهب للعلماء.
(١٩) ينظر زاد المسير ٥٩/٢، وتفسير القرآن العظيم ٦٩/٣، وتفسير سورة النساء للعثيمين ٢٣٨/١.

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ المائدة: ٤٨.

وفي قوله: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ بيان لقصد إلحاق هذه الأمة بمزايا الأمم التي قبلها، والامتنان بما شرعه الله للمسلمين من توضيح الأحكام قد حصلت إرادته فيما مضى، وإنما عبر بصيغة المضارع هنا للدلالة على تجدد البيان واستمراره، فإن هذه التشريعات دائمة مستمرة تكون بيانا للمخاطبين ولمن جاء بعدهم، وللدلالة على أن الله يبقي بعدها بيانا متعاقبا (٢٠).

قوله: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: ويريد ليتوب عليكم، أي: يوفقكم للتوبة.

وتوبة الله على العبد نوعان: توبة توفيق للتوبة، وتوبة قبول للتوبة.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١١٧.أي وفقهم للتوبة ليتوبوا.

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ الشورى: ٢٥.

والتوبة في قوله: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ تشمل المعنيين (٢١).

---

(٢٠) التحرير والتنوير ١٨/٦.

(٢١) ينظر تهذيب اللغة٠تاب)٣٣٢/١٤، ومعجم مقاييس اللغة(توب)٣٥٧/١، والمحرر الوجيز ٨٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٤٨/٥، البحر المحيط ٢٢٦/٣.

قال العلماء: والتوبة واجبة من كل الذنوب، فإن كانت المعصية بين العبد وربه تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها أربعة شروط:

الأول: الإقلاع عن المعصية فورا، أي: مع عدم التسويف.

الثاني: الندم على فعلها.

الثالث: العزم على عدم العودة إليها أبدا.

الرابع: أن تكون في الوقت، فهناك وقت عام وهو: طلوع الشمس من مغربها، ووقت خاص لكل إنسان وهو: بلوغ الروح الحلقوم.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فيضاف شرط خامس وهو: أن يتحلل من صاحب الحق، فإن كانت المعصية في مال ونحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها.

ويجب على المرء المسلم أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي (٢٢).

قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يقول: والله ذو علم بما يصلح عباده في دينهم ودنياهم، وغير ذلك من أمورهم، وبما يأتون ويذرون مما أحل أو حرم عليهم حافظ ذلك كله عليهم، ﴿حَكِيمٌ﴾ بتدبيره فيهم في تصريفهم فيما صرفهم فيه، ومصيب بالأشياء مواضعها بحسب الحكْمَة والإتقان (٢٣).

---

(٢٢) ينظر رياض الصالحين للنووي ص١٠-١١.

(٢٣) ينظر جامع البيان ٢٧/٤، والمحرر الوجيز ٨٩/٤.

والمـراد بـالعلم: هـو إدراك الـشيء علـى مـا هـو عليـه، فخـرج بقولنا(إدراك)الجهل، لأنه ليس بإدراك، وخرج بقولنا(على ما هو عليه): الجهل المركب، لأن الجاهل جهلاً مركباً يدرك الشيء على خلاف ما هو عليه [٢٤].

والحكْمَةُ: المنع، تقول العرب: حَكَمْتُ وأَحْكَمْتُ وحَكّمْتُ بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم، قال الأصمعي: أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، ومنه سميت حكمة اللجام؛ لأنها ترد الدابة، قال الليث: الحكم: الله تبارك وتعالى وهو أحكم الحاكمين، وهو الحكيم وله الحكم، قال: والحكم: العلم والفقه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم: ١٢ أي: علما وفقها [٢٥].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرره ليرتب عليه قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ فليس بتأكيد لفظي، وهذا كما يعاد اللفظ في الجزاء والصفة ونحوها، والمقصد من التعرض لإرادة الذين يتبعون الشهوات تنبيه المسلمين إلى دخائل أعدائهم، ليعلموا الفرق بين مراد الله من الخلق، ومراد أعوان الشياطين، وهم الذين يتبعون الشهوات، ولذلك قدم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله:

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ليدل على التخصيص الإضافي، أي الله وحده هو الذي يريد أن يتوب عليكم، أي يحرضكم على التوبة والإقلاع عن المعاصي، وأما الذين يتبعون الشهوات فيريدون انصرافكم عن الحق وميلكم عنه إلى المعاصي [٢٦].

---

(٢٤) ينظر جمهرة اللغة(علم)١٣٨/٣، و تهذيب اللغة(علم)٤١٥/٢، وتفسير سورة النساء للعثيمين ٢٣٩/١.
(٢٥) تهذيب اللغة(حكم)١١١/٤، ومعجم مقاييس اللغة(حكم)٩١/٢.
(٢٦) ينظر التحرير والتنوير ٢١/٦.

وقيل: إنه تكرير لأجل التأكيد، وقيل: إن التوبة فيه غير التوبة في الآية السابقة، بأن يراد بالأولى القبول، وبالثانية العمل الذي يكون سبب القبول، وهو تكلف غير مقبول، والصواب: أن التوبة الأولى ذكرت في تعليل أحكام محرمات النكاح، فكان معناها أن العمل بتلك الأحكام يكون توبة ورجوعا عما كان قبلها من أنكحتهم الباطلة الضارة، وأن الله شرعها لأجل ذلك، ثم أسند إرادة التوبة إلى الله تعالى في جملة مستأنفة ليبين لنا أن ذلك ما يريده الله تعالى أن نكون عليه دائما في مستقبل أيامنا بعد الإسلام، ويقابله بما يريده منا متبعو الشهوات، كأنه يقول ما جعل إرادة التوبة علة لتلك الأحكام إلا وهو يريد ذلك دائما منكم لتزكو نفوسكم وتطهر قلوبكم وتصلح أحوالكم [٢٧].

وأتى بالجملة الأولى: اسمية دلالة على الثبوت﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ﴾،

والثانية: فعلية دلالة على الحدوث﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [٢٨].

قوله: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾، اختلف في المراد بالذين يتبعون الشهوات، فقال بعضهم: هم الزناة، وقال آخرون: هم اليهود والنصارى، وقال آخرون: معنى ذلك: كل متبع شهوة في دينه لغير الذي أبيح له.

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم من أهل الباطل، وطلاب الزنا، ونكاح الأخوات من الآباء،

---

(٢٧) ينظر تفسير القرآن الحكيم ٣٦/٥.

(٢٨) ينظر الدر المصون ٦٦٢/٣.

وغير ذلك مما حرمه الله أن تميلوا ميلا عظيما عن الحق، وعما أذن الله لكم فيه، فتجوروا عن طاعته إلى معصيته، وتكونوا أمثالهم في اتباع شهوات أنفسكم فيما حرم الله وترك طاعته، ميلا عظيما (٢٩).

وأراد بالذين يتبعون الشهوات: الذين تغلبهم شهواتهم على مخالفة ما شرعه الله لهم: من الذين لا دين لهم، وهم الذين لا ينظرون في عواقب الذنوب ومفاسدها وعقوباتها، ولكنهم يرضون شهواتهم الداعية إليها (٣٠).

قوله: ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ أي: تنحرفوا عما يريد الله سبحانه بكم من أسباب التوبة، وهي فعل الأوامر وترك النواهي، فالله يريد شيئا وهم يريدون شيئا بخلافه.

قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ النساء: ٢٨ الإرادة هنا شرعية، وليست كونية؛ لأن الله يقدر على العبد أشياء تثقل عليه العبادات بسببها، لكنه شرعا لا يريد منا أن نشق على أنفسنا، بل إنه لما قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت، نهاه الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال: **(إن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا)** (٣١).

والتخفيف من الله سبحانه تخفيف في الأوامر وتخفيف في النواهي: أما التخفيف في الأوامر فإن الله سبحانه لما ذكر ما يجب علينا من طهارة الوضوء والغسل والتيمم

---

(٢٩) ينظر جامع البيان ٤/٨-٢٩.

(٣٠) ينظر التحرير والتنوير ٥/٢١.

(٣١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم ٢/٢٤٥ح١٨٧٤، ومسلم في كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا.. ١/٨١٢ح١١٥٩.

قال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ المائدة: ٦، وكذلك خفف في النواهي فقال: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ الأنعام: ١١٩، أي: فليس بحرام، وهذا تخفيف على العباد، ولم يذكر متعلق التخفيف وفي ذلك أقوال: أحدها: أن يكون في إباحة نكاح الأمة وغيره من الرخص، الثاني: في تكليف النظر وإزالة الحيرة فيما بين لكم مما يجوز لكم من النكاح وما لا يجوز، الثالث: في وضع الإصر المكتوب على من قبلنا، وبمجيء هذه الملة الحنيفية سهلة سمحة، الرابع: بإيصالكم إلى ثواب ما كلفكم من تحمل التكاليف، الخامس: أن يخفف عنكم إثم ما ترتكبون من المآثم لجهلكم [٣٢].

يذكر الله عباده بذلك أنه لا يزال مراعيا أحوال عباده في الرفق بهذه الأمة، وإرادته بها اليسر دون العسر، إشارة إلى أن هذا الدين بين حفظ المصالح ودرء المفاسد، في أيسر كيفية وأرفقها، فربما ألغت الشريعة بعض المفاسد إذا كان في الحمل على تركها مشقة أو تعطيل مصلحة، كما ألغت مفاسد نكاح الإماء نظرا للمشقة على غير ذي الطول، والآيات الدالة على هذا المعنى بلغت مبلغ القطع كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨ وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥ وقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف: ١٥٧ [٣٣].

وخص بعضهم التخفيف في هذه الآية، فقال: المراد به نكاح الأمة عند الضرورة، وهو قول مجاهد ومقاتل، والباقون قالوا: هذا عام في كل أحكام الشرع،

---

(٣٢) ينظر تفسير القرآن العظيم ٦٩/٣، والبحر المحيط ٢٢٧/٣، و تفسير سورة النساء للعثيمين ٢٤٦/١.
(٣٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٢/٥.

وفي جميع ما يسره لنا وسهله علينا إحسانا منه إلينا، ولم يثقل التكليف علينا كما ثقل على بني إسرائيل بفضله ولطفه [(٣٤)].

قوله: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ قال ابن عباس: يضعف عن الصبر عن الجماع، وبهذا قال أكثرهم، وقال الكلبي وطاووس: لا يصبر عن النساء،

وقال ابن كيسان والزجاج: أي: يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك، قال ابن جزي: وذلك مقتضى سياق الكلام، واللفظ أعم من ذلك [(٣٥)].

قال ابن القيم: والصواب: أن ضعفه يعم هذا كله، وضعفه أعظم من هذا وأكثر: فإنه ضعيف البنية ضعيف القوة، ضعيف الإرادة، ضعيف العلم، ضعيف الصبر، والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع من السيل في صبيب الحدور، فبالاضطرار لا بد له من حافظ معين يقويه ويعينه وينصره ويساعده، فإن تخلى عنه هذا المساعد المعين فالهلاك أقرب إليه من نفسه [(٣٦)].

والجملة فيها نوع تعليل لقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾كأن قائلا يقول: لماذا أراد ذلك؟فقال: لأن الإنسان خلق ضعيفا، أي خلقه الله عز وجل ضعيفا في كل أموره: ضعيفا في جسمه، ضعيفا في إرادته، ضعيفا في علمه، ضعيفا في كل شيء [(٣٧)].

---

(٣٤) ينظر جامع البيان ٢٩/٤، والبسيط للواحدي ٤٦٦/٦.
(٣٥) ينظر تنوير المقباس ص٨٣، وتفسير الحسن ٢٧١/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٤/٢، وزاد المسير ٦٠/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ص١١٧.
(٣٦) ينظر طريق الهجرتين ص١٠٨.
(٣٧) ينظر الجدول في إعراب القرآن ١٤/٥، وتفسير سورة النساء للعثيمين ٢٤٧/١.

ما يستنبط من الآيات:

١- إثبات الإرادة لله سبحانه وتعالى﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾، وكذا الإرادة للمخلوق، ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ لكن إرادة الله واقعة لا محالة، بخلاف إرادة المخلوق فقد تقع وقد لا تقع.

٢- بيان لطف الله بعباده ورحمته لهم حيث بين لهم ما ينفعهم، وحذرهم مما يضرهم، في كتبه وعلى ألسنة رسله.

٣- أنه ليس في شرع الله المنزل شيء مجهول لكل أحد، حيث إن الله قد بين لعباده أحكام دينه وشرعه، لكنه قد يخفى على أحد ويظهر لآخرين (٣٨).

٤- أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى، أما الخلق فلا يستطيع أحد منهم أن يهدي أقرب الناس إليه، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦.

٥- وصول هذه الأمة إلى مرتبة الكمال في شريعتها، ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ النساء: ٢٦.

٦- إرادة الله سبحانه التوبة على عباده بل محبته لذلك وفرحه بتوبة عبده، أشد من فرح الفاقد لراحلته بأرض فلاة (٣٩).

٧- إثبات اسمين من أسماء الله، وهما العليم والحكيم، وما تضمناه من الوصف، فالعليم تضمن العلم، والحكيم تضمن الحكم والحكمة (٤٠).

---

(٣٨) تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٢٤٠/١.

(٣٩) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب التوبة ١٤٤/٧ح٦٣٠٨.

(٤٠) تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٢٤٤/١.

٨- قناعة المؤمن بما يجريه الله في هذا الكون من أحكام شرعية أو كونية لأنه يعلم أن ذلك واقع بعلم من الله وحكمة.

٩- وجوب مراقبة العبد لربه في أفعاله وتصرفاته، لأن الله عالم بما يفعله عبده ومطلع عليه ومجازيه عليه أتم الجزاء.

١٠- ضلال كثير من الخلق وانحرافهم باتباعهم الشهوات.

١١- إرادة المنحرفين من الذين يتبعون الشهوات أن يميل الناس كلهم ميلا عظيما، فهم يحبون ذلك ويسعون له جاهدين ليل نهار.

١٢- في وصف الله للميل الذي يريده متبعو الشهوات بالميل العظيم، دليل على ما يكنه أعداء الله وأعداء عباده الصالحين، لهذا الدين وإرادتهم الميل بالمجتمع بأسره ميلا عظيما عن جادة الحق والصواب، سواء في الأخلاق والسلوك، أو في الطاعة والعبادة.

١٣- سعة علم الله سبحانه وتعالى، حيث أخبرنا عن إرادة الذين يتبعون الشهوات، مع أن الإرادة محلها القلب، لكنه سبحانه لا تخفى عليه خافية.

١٤- وجوب أخذ الحيطة والحذر من الذين يتبعون الشهوات، سواء كانت شهوة بطن وفرج أو شهوة فكر وقلب.

١٥- الإشارة إلى من قد انحطت منزلته فقادته شهوته واتبعها، ولم يحكم عقله ليرشده إلى ما ينفعه في دنياه وآخرته.

١٦- الكشف عن نيات المنحرفين والمتبعين للشهوات، وفضح مخططاتهم، وكشف أسرارهم.

١٧- لطف الله سبحانه بعباده ومحبته لهم، بتيسيره وتخفيفه عنهم بعض التكاليف.

١٨- الحث على اتباع الرخص لأن ذلك من التخفيف، و**(إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)** (٤١).

١٩- من لطف الله بعباده ذكر العلة للحكم، فمن علة التخفيف على العباد قوله: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾.

٢٠- يجب على الإنسان إذا حدثته نفسه بالكبر والترفع أو العلو والأنفة أن يتذكر ضعفه دائما﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾.

٢١- أن ما كان مكروها للعبد فإن الله يعبر عنه بالبناء للمفعول﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ مع أن ذكر الله قد ورد في الجملة السابقة (٤٢).

المبحث الثاني: ضمان الله سبحانه وتعالى لمن اجتنب الكبائر بتكفير الصغائر، وإدخاله المدخل الكريم

قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ النساء: ٣١.

مناسبة الآية لما قبلها

منا سبة هذه الآية ظاهرة، لأنه تعالى لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر، ذكر الوعد على اجتناب الكبائر.

---

(٤١) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس ٣٢٣/١١ح١١٨٨٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٢/٣: ورواه البزار عن الحسين بن محمد الذراع به، ورجال البزار ثقات وكذلك رجال الطبراني، وينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٢٤٩/١.

(٤٢) تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٢٤٩/١.

وقيل: اعتراض ناسب ذكره بعد ذكر ذنبين كبيرين: وهما: قتل النفس، وأكل المال بالباطل، على عادة القرآن في التفنن من أسلوب إلى أسلوب، وفي انتهاز الفرص في إلقاء التشريع عقب المواعظ وعكسه (٤٣).

اختلف في عدد الكبائر فقد جاء في الأحاديث ببيان عددها: بثلاث، وأربع، وسبع، وتسع (٤٤).

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر هل هي سبع؟فقال: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع، وفي رواية أخرى قال: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع، ولكن لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار (٤٥).

وورد عن ابن مسعود أنها من أول سورة النساء إلى قوله: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ﴾ (٤٦).

---

(٤٣) ينظر البحر المحيط ٢٣٣/٣، التحرير والتنوير ٢٠/٥.

(٤٤) أخرج ذلك الطبري عن ابن مسعود وغيره ينظر جامع البيان ٦٤٠/٦-٦٥٢، وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو وعد منها أربعا كتاب الأيمان والنذور باب اليمين الغموس ٢٢٨/٧ ح٦٦٧٥، وأخرج مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها عدة روايات ٩١/١ح١٤٣-١٤٦، وأخرج البغوي في شرح السنة عن عبد الله ابن عمرو وأبي هريرة وابن عباس وابن مسعود عدة روايات شرح السنة كتاب الكبائر ٧٨/١-٨٧، وأخرج عبد الرزاق في المصنف بعض هذه الروايات عن الحسن وغيره ٤٦٠/١٠-٤٦١ح١٩٧٠٤، ١٩٧٠٥، و ينظرالدر المنثور ٣٥٩/٤-٣٧٠.

(٤٥) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس جامع البيان ٦٥١/٦، وأخرج الرواية بأ ا إلى السبعين أقرب عبد الرزاق في المصنف ٤٦٠/١٠ح١٩٧٠٢، وذكره في الدر المنثور منسوبا لابن عباس ٣٥٨/٤-٣٥٩.

(٤٦) أخرج ذلك الطبري عن ابن مسعود جامع البيان ٦٤١/٦-٦٤٢، وأخرجه ابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس ص٦٧١ح١٦٧٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٧رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ٥٩/١، ونقله ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٨٣/٣.

وقال ابن جرير: وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة، ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما قاله غيره، وإن كان كل قائل فيها قولا من الذين ذكرنا أقوالهم قد اجتهد وبالغ في نفسه، ولقوله من الصحة مذهب، فالكبائر إذن: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس المحرم قتلها، وقول الزور – وقد يدخل في قول الزور شهادة الزور – وقذف المحصنة، واليمين الغموس، والسحر – ويدخل في قتل النفس المحرم قتلها، قتل الرجل ولده من أجل أن يطعم معه – والفرار من الزحف، والزنا بحليلة الجار [٤٧].

وقال ابن كثير: وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة، فمن قائل: هي ما عليه حد في الشرع، ومنهم من قال: هي ما عليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة، وقيل غير ذلك، قال أبو القاسم الرافعي في كتابه الشرح الكبير: ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في الكبائر وفي الفرق بينها وبين الصغائر، وللأصحاب في تفسير الكبيرة وجوه: أحدها: أنها المعصية الموجبة للحد، الثاني: أنها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أو سنة، وهذا أكثر ما يوجد لهم، وهو إلى الأول أميل، لكن الثاني أوفق لما ذكروه عند تفصيل الكبائر.الثالث: قال إمام الحرمين في الإرشاد وغيره: كل جريمة تنبئ بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة، فهي مبطلة للعدالة.الرابع: ذكر القاضي أبو سعيد الهروي أن الكبيرة كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها حدا من قتل أو غيره، وترك كل فريضة مأمور بها على الفور، والكذب في الشهادة

---

(٤٧) جامع البيان ٦٥٧/٦.

والرواية واليمين، هذا ما ذكروه على سبيل الضبط، وللحافظ الذهبي كتاب جمع فيه نحوا من سبعين كبيرة (٤٨).

وقيل: إنها ما ترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال أما الصغائر: فمنهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة، ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار، ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة (٤٩).

قوله تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ ﴾ هنا عدول عن الغيبة إلى الخطاب، فالغيبة: في قوله: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ النساء: ٣٠ وأما﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ ﴾ فهذا للخطاب (٥٠)، ومن المعلوم أن مواجهة المخاطب بالخطاب أولى وأدعى لامتثاله لما يخاطب به، لاحتمال أن المراد غيره لو كان الخطاب للغائب.

ومعنى﴿ تَجۡتَنِبُواْ ﴾ أي: تبتعدوا عن كبائر ما تنهون عنه، الاجتناب والتجنب والمجانبة المباعدة عن الشيء وتركه جانبا (٥١).

وقوله: ﴿ كَبَآئِرَ ﴾ جمع كبيرة، ﴿مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ﴾ النهي: هو طلب الكف على وجه الاستعلاء، أي: ما ينهاكم الله عنه (٥٢).

قوله: ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾.

---

(٤٨) ينظر تفسير القرآن العظيم ٨٦/٣-٨٧، والكبائر للذهبي تحقيق: محمد الشرقاوي.

(٤٩) ينظر شرح الطحاوية ص٣٦١.

(٥٠) ينظر روح المعاني ١٧/٥، وتفسير سورة النساء للعثيمين ٢٦١/١.

(٥١) ينظر ذيب اللغة(جنب)١١٧/١١، والبسيط للواحدي ٤٧٢/٦، وروح المعاني للألوسي ١٧/٥.

(٥٢) ينظر ذيب اللغة(ى)٤٣٨/٦، وزاد المسير ٦٢/٢.

﴿ نُكَفِّرۡ ﴾: مأخوذ من الكفر، وهو الستر، فالتكفير إذن معناه ستر السيئات، وذلك بالعفو عنها، واختيار ما يدل على العظمة بطريق الالتفات تفخيم لشأن ذلك الغفران، ﴿سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ جمع سيئة، والمراد بها هنا الصغيرة، والدليل على ذلك أنها جاءت في مقابلة الكبائر في قوله: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ وإلا فالأصل أن السيئة عامة للكبيرة والصغيرة، وهذا من بلاغة القرآن أن يعرف معنى الكلمة بذكر ما يقابلها، ومن ذلك قوله: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ النساء: ٧١،

فمعنى: ﴿ثُبَاتٍ ﴾ فرادى، بدليل ما بعدها [٥٣].

قوله: ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلًا كَرِيمًا ﴾ المدخل الكريم: هو الجنة.

أما القراءة فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين:

﴿ وَنُدۡخِلۡكُم مَّدۡخَلًا كَرِيمًا ﴾ بفتح الميم، وكذلك الذي في الحج:

﴿ لَيُدۡخِلَنَّهُم مَّدۡخَلًا يَرۡضَوۡنَهُۥ ﴾ الحج: ٥٩، فمعنى: ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مَّدۡخَلًا ﴾ فيدخلون دخولا كريما، وقد يحتمل على مذهب من قرأ هذه القراءة أن يكون المعنى في المدخل: المكان والموضع، لأن العرب ربما فتحت الميم من ذلك بهذا المعنى.

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين: ﴿مُّدۡخَلًا ﴾ بضم الميم،

يعني: وندخلكم إدخالا كريما.

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك: ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلًا كَرِيمًا ﴾

---

(٥٣) ينظر البسيط ٤٧٤/٦، البحر المحيط ٢٣٣/٣، فتح القدير ٤٥٧/١، وروح المعاني ١٧/٥.

بضم الميم، لما وصفنا من أن ما كان من الفعل بناؤه على أربعة في (فَعَل)فالمصدر منه:

(مُفْعَل) (٥٤).

وأما المراد بالمدخل الكريم: فهو الطيب الحسن، المكرم بنفي الآفات والعاهات عنه، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر في عيش من دخله، فلذلك سماه الله كريما (٥٥).

وقال ابن قتيبه: ﴿ مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ أي شريفا (٥٦).

ما يستنبط من الآية

١- مواجهة المخاطب بالخطاب الموجه إليه مباشرة، ليكون ذلك أدعى إلى الانتباه،

وأقوى في التحمل (٥٧).

٢- استعمال القرآن لأسلوب الترغيب والترهيب، كما في هذه الآية.

٣- التعبير بالمجانبة يفيد عدم المزاولة للشيء، وعدم مقاربته.

٤- انقسام المعاصي عموما إلى كبائر وصغائر.

٥- رحمة الله بخلقه، وعفوه عما يقع منهم من صغائر، لأن من طبيعة الإنسان مقارفة الذنوب

---

(٥٤) ينظر جامع البيان ٦/٦٦١-٦٦٢، والسبعة لابن مجاهد ص٢٣٢، والحجة لأبي علي الفارسي ٣/١٥٣-١٥٤، ومعاني القرآن للأخفش ١/٤٤١.

(٥٥) ينظر جامع البيان ٦/٦٦٣.

(٥٦) ينظر مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ١/١١٩.

(٥٧) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ١/٢٦١.

(لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يـذنبون، فيـستغفرون الله فيغفـر لهم) (٥٨).

٦- تفاضل الناس في الأعمال، وكذا تفاضلهم بالإيمان.

٧- أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٨- بطلان مذاهب الفرق الضالة من المرجئة والخوارج والمعتزلة، بزعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ومذهب أهل السنة: أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٥٩).

٩- إثبات عظمة الله سبحانه، حيث عبر سبحانه عن نفسه بنون العظمة في قوله: ﴿نُكَفِّرْ﴾ ﴿وَنُدْخِلْكُم﴾.

١٠- أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر.

١١- ضمان دخول الجنة لمن كفر الله عنه سيئاته.

١٢- وصف مساكن الجنة بأنها من المداخل الكريمة.

١٣- أن الجنة لا يدخلها إلا أصحاب النفوس الزكية الطاهرة من جميع الذنوب والمعاصي، وذلك يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ فأصحاب المعاصي يدخلون النار، لكنهم بعد التمحيص يخرجون إلى الجنة.

---

(٥٨) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار، توبة ٢١٠٦/٣ح٢٧٤٩.

(٥٩) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٢٦٥/١.

المبحث الثالث: ت ه الله سبحانه عن الظلم، مع تضعيفه للحسنات، وإيتائه الأجر العظيم

قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ النساء: ٤٠.

مناسبة الآية لما قبلها

اعلـم أن تعلـق هـذه الآيـة بقولـه تعـالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ النساء: ٣٩، واضح، فكأنه قال: فإن الله لا يظلم من هذه حاله مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها، فرغب بذلك في الإيمان والطاعة [٦٠].

وقيل: إنه لما أمر سبحانه بعبادته والإحسان للوالدين ومن ذكر معهم، ثم أعقب ذلك بذم البخل والأوصاف المذكورة معه، ثم وبخ من لم يؤمن ولم ينفق في طاعة الله فكان هذا كله توطئة لذكر الجزاء على الحسنات والسيئات، فأخبر تعالى بصفة عدله وأنه عز وجل لا يظلم أدنى شيء، ثم أخبر بصفة الإحسان بتضعيف الحسنات [٦١].

وقيل: بعد ما بين تعالى صفات المتكبرين وسوء حالهم وتوعدهم على ذلك أراد أن يزيد الأمر تأكيدا ووعيدا فبين أنه لا يظلم أحدا من العاملين بتلك الوصايا قليلا أو كثيرا بل يوفيه حقه بالقسطاس المستقيم، فالآية تتميم لموضوع الآية السابقة وترغيب للعاملين في الخير كما قال في سورة الزلزلة: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾ فمن سمع هذه الآية تعظم رغبته في الخير ورجاؤه في الله تعالى [٦٢].

---

(٦٠) ينظر التفسير الكبير للرازي ١٠١/١٠.

(٦١) ينظر البحر المحيط ٢٥١/٣.

(٦٢) ينظر تفسير القرآن الحكيم ١٠٥/٥

يقرر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية نفي الظلم عن ذاته سبحانه، وقد ورد عدة آيات في الموضوع مثل قوله: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٤٩ وقوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فصلت: ٤٦ وقوله ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ النحل: ٣٣

وفي الحديث القدسي: **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا..)** [٦٣].

أما العباد فمن طبعهم الظلم، ولذا قال الشاعر [٦٤]:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

من المسلم أن الظلم ليس من الشيم، بل هو من الطبائع والأخلاق المرذولة، ومراد الشاعر بقوله: فإن تجد ذا عفة: أي إنسانا عفيفا عن الظلم، فلعلة لا يظلم: أي أنه عليل أي: سقيم لا يستطيع الظلم، فلضعفه لم يظلم.

ومما يدل على وقوع الظلم كثيرا من البشر، أنه لما نزل قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ الأنعام: ٨٢شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟

(فقال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣**)** [٦٥].

---

(٦٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ١٩٩٤/٣ح٢٥٧٧، و ينظر الأحاديث القدسية ٢٦٥/١ح٢٦٧.

(٦٤) البيت لأبي الطيب المتنبي ينظر ديوانه بشرح العكبري ١٦٦/١.

(٦٥) ينظر معالم التنزيل ١٦٤/٣، وزاد المسير ٧٧/٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٠/٧، والحديث أخرجه

أصل الظلم النقص، لقوله تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ الكهف: ٣٣.أي: لم تنقص منه شيئا، فهذا أصل الظلم، فالله لا ينقص الناس من حقوقهم شيئا، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ طه: ١١٢.أي: ظلما بعقوبته على شيء لم يفعله، ولا هضما: أي نقصا من ثوابه [٦٦].

والمثقال: مقدار الشيء في الثقل، وهو مفعال من الثقل، يقال: هذا على مثقال هذا، أي وزن هذا.

ومعنى﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾زُلْزِلَتِ أي ما يكون وزنه وزن الذرة [٦٧].

أما الذرة: فهي النملة الحميراء الصغيرة في قول أهل اللغة، وهو قول ابن عباس وابن زيد [٦٨].

والذرة يضرب بها المثل في التحقير، وإلا فإن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة ولا دونه، وما جيء به على سبيل التحقير أو التكثير فإنه لا مفهوم له، وعلى هذا فلو سألنا سائل: هل يظلم الله دون مثقال ذرة: قلنا: لا [٦٩].

=البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة..)١٣٧/٤ح٣٤٢٨.

(٦٦) ينظر تهذيب اللغة(ظلم)٣٨٢/١٤، ومعجم مقاييس اللغة(ظلم)٤٦٨/٣، والمحرر الوجيز ١١٨/٤.

(٦٧) ينظر مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ص ١١٩، وجامع البيان ٢٩/٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥٢/٢، والبسيط للواحدي ٥١٤/٦.

(٦٨) ينظر تهذيب اللغة(ذر)٤٠٤/١٤، واللسان(ذرر)٣٠٤/٤، وأخرج الطبري ذلك عن ابن عباس ويزيد بن هارون جامع البيان ٢٩/٧، وينظر زاد المسير ٨٥/٢، والدر المنثور ٤٣٩/٤.

(٦٩) ينظر تفسير سورة النساء للعثيمين ٣٢٩/١.

واعلم أن هذه الآية مشتملة على الوعد بثلاثة أمور: الأول: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ النساء: ٤٠

والثاني: قوله تعالى﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾

والثالث: قوله تعالى: ﴿ وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[٧٠].

قال ابن كثير: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ يخبر تعالى أنه لا يظلم عبدا من عباده يوم القيامة مثقال حبة خردل، ولا مثقال ذرة، بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة، كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾ الأنبياء: ٤٧

وقال تعالى مخبرا عن لقمان أنه قال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ لقمان: ١٦ وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ الزلزلة: ٦ - ٨

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل، وفيه**(فيقول الله عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار)، وفي لفظ: (أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار)، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقول أبو سعيد: اقرؤوا إن شئتم** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ الآية[٧١].

(٧٠) ينظر التفسير الكبير ١٠/١٠١-١٠٤.

(٧١) تفسير القرآن العظيم ٣/١٠٧، وأخرج الحديث البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٧/٢٠٠ح٧٥١٠، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة

قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا ﴾ اختلف القراء في قراءة ﴿حَسَنَةً ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ ﴾ رفعا.وقرأ الباقون: نصبا.قال أبو علي: النصب حسن لتقدم ذكر: ﴿ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ فالتقدير: وإن تكن الحسنة مثقال ذرة يضاعفها، كما قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ الأنعام: ١٦٠.والرفع على: وإن تحدث حسنة، أو إن تقع حسنة يضاعفها.

واختلفوا في إثبات الألف وإسقاطها والتخفيف والتشديد من قوله عز وجل: ﴿ يُضَٰعِفۡهَا ﴾ فقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿يُضَعِّفۡهَا ﴾ مشددة العين بغير ألف.وقرأ الباقون:

﴿يُضَٰعِفۡهَا ﴾ خفيفة بألف.قال أبو علي: المعنى فيهما واحد وهما لغتان قال سيبويه: تجيء فاعلت لا تريد به عمل اثنين، ولكنهم بنوا عليه الفعل كما بنوه على أفعل، وذلك قولهم: ناولته، وعاقبته، وعافاه الله، وسافرت قال: ونحو ذلك: ضاعفت، وضعفت، وناعمت ونعمت، فدل هذا على أنهما لغتان فبأيتهما قرأت كان حسنا [٧٢].

والمضاعفة: إضافة الضعف- بكسر الضاد- أي: المثل، يقال: ضاعف وضعف وأضعف، وهي بمعنى واحد على التحقيق عند أئمة اللغة، مثل أبي علي الفارسي، وقال أبو عبيدة: ضاعف يقتضي أكثر من ضعف واحد وضعّف يقتضي ضعفين، ورد بقوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ ﴾ الأحزاب: ٣٠ [٧٣].

=م لة فيها ١٨٢/١ح١٩٣.

(٧٢) ينظر السبعة لابن مجاهد ص٢٣٣، والحجة لأبي علي الفارسي ١٦٠/٣، وعند سيبويه في باب دخول الزيادة في فعلت للمعاني ٢٣٩/٢.

(٧٣) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢٧/١، وجامع البيان ٣٥/٧، و ذيب اللغة للأزهري(ضعف)٤٨٠/١،

ولم يبين في هذه الآية الكريمة أقل ما تضاعف به الحسنة، ولا أكثره ولكنه بين في موضع آخر أن أقل ما تضاعف به عشر أمثالها، وهو قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام: ١٦٠.وبين في موضع آخر أن المضاعفة ربما بلغت سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، وهو قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ البقرة: ٢٦١ (٧٤).

قال ابن عباس نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ في المنافقين،

وقوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ في المؤمنين، يقول: لا ينقص﴿مِثْقَالَ﴾ ذرة من عمل المنافق إلا جازاه بها رواه عنه عطاء.وقال آخرون هذا على العموم، ثم اختلفوا، فذهب بعضهم في تأويله إلى ما رواه أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(وإن الله لا يظلم حسنة، أما المؤمن فيثاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزى ا في الآخرة، وأمـا الكافر فيطعم ا في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة لم تكن له حسنة)** (٧٥).

وذهب بعضهم إلى تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ للخصم على الخصم، بل يأخذ له ومنه، ولا يظلم مثقال ذرة تبقى للخصم، بل يثيبه عليها ويضاعفها له، واحتجوا بما روي عن ابن مسعود أنه قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وينادي مناد على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان بن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه، ثم يقال له: آت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب من أين وقد ذهبت

=والمحرر الوجيز ١١٩/٤.

(٧٤) ينظر المحرر الوجيز ١١٩/٤-١٢٠، والبحر المحيط ٢٥٢/٣، وأضواء البيان ٣٩١/١.

(٧٥) ينظر تنوير المقباس ص٨٥، والبسيط للواحدي ٥١٥/٦، والحديث أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا ٢١٦٢/٣ح٢٨٠٨.

الدنيا، فيقول الله لملائكته في أعماله الصالحة: فأعطوهم منها، فإن بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضل رحمته [(٧٦)].

قوله: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال عطاء: يريد من عنده أجرا عظيما يتفضل عليه بأكثر من العشرة الأضعاف، وقال الكلبي: الأجر العظيم الجنة، وقال الحسن: هذا أحب إلى العلماء، أن لو قال: الحسنة بمائة ألف وهو كقوله﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ القدر: ٣ ولم يقل مثل ألف شهر [(٧٧)].

قوله: ﴿لَدُنْهِ﴾ قال ابن هشام: ومنها(أي من حروف الجر)(لدن)بمعنى: عند، إلا أنها تختص بستة أمور:

أحدها: أنها ملازمة لمبدأ الغايات.الثاني: أن الغالب استعمالها مجرورة بمن.

الثالث: أنها مبنية إلا في لغة قيس، وبلغتهم قرئ (من لَدْنه).

الرابع: جواز إضافتها إلى الجمل.

الخامس: جواز إفرادها قبل(غدوه).

السادس: أنها لا تقع إلا فضلة [(٧٨)].

ولدن: فيها لغات: يقال: لدُ ولدُنْ، ولدُنٌ، ولدى، والمعنى واحد ومعناه من قبله، إلا أنها لا تتمكن تمكن عند، لأنك تقول: هذا القول عندي صواب، ولا يقال: الوقت لدنيَّ صواب، وتقول: عندي مال عظيم والمال غائب عنك، و(لدن)لما يليك [(٧٩)].

---

(٧٦) أخرجه ابن جرير بأكثر من طريق ينظر جامع البيان ٣٢/٧-٣٤، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١٠٨/٣وقال: ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح، وينظر الدر المنثور٤٤٠/٤-٤٤١.

(٧٧) ينظر تفسير الحسن ٢٧٩/١، وجامع البيان ٣٥/٧-٣٧، والبسيط ٥١٩/٦.

(٧٨) ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ص٤٠١، حروف المعاني للزجاجي ص٢٦.

(٧٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٥٣/٢، والتفسير الكبير ١٠٤/١٠.

وقيل: (لدن)بمعنى عند، وقال بعضهم: إن (لدن)أقوى في الدلالة على القرب من عند فلا يقال: لدي مال إلا إذا كان حاضرا، ويقال عندي مال وإن كان غائبا[٨٠].

وقال الفخر الرازي: اعلم أنه لابد من الفرق بين قوله: ﴿ لَّدُنۡهُ ﴾ وبين قوله: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا ﴾ والذي يخطر ببالي والعلم عند الله، أن ذلك التضعيف يكون من جنس ذلك الثواب، وأما هذا الأجر العظيم فلا يكون من جنس ذلك الثواب، والظاهر أن ذلك التضعيف يكون من جنس اللذات الموعود بها في الجنة، وأما هذا الأجر العظيم الذي يؤتيه من لدنه، فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية [٨١].

قلت: ما أشار إليه الرازي له شبيه في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما ثبت في الصحيح في تفسير قوله سبحانه: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ **يونس:٢٦** فقد فسرت الزيادة بأنها النظر إلى وجهه الكريم سبحانه [٨٢].

وهناك معنى آخر لعله أن يكون أقرب من هذا: وهو أن الله يضاعف لهم حسناتهم، ثم يؤتيهم من لدنه زيادة في الدرجات سوى التضعيف، وذلك لأن التضعيف مهما زاد فإنه يصل إلى حد معين، فلذا يزيد سبحانه عباده فضلا آخر زيادة عن التضعيف تكرما منه سبحانه.

ما يستنبط من الآية

١- إثبات صفة الكمال لله سبحانه بنفي جميع أنواع الظلم عنه، سواء النقص في الحسنات أو الزيادة في السيئات.

---

(٨٠) تفسير القرآن الحكيم ١٠٩/٥.

(٨١) ينظر التفسير الكبير ١٠٥/١٠.

(٨٢) ينظر معالم التنزيل ١٣٠/٤، وتيسير الكريم الرحمن ص٣٦٢، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١٦٣/١ح١٨١.

٢- أن ما ذكر على سبيل المبالغة لا مفهوم له، فعلى ذلك أن الله لا يظلم أي شيء على الإطلاق [٨٣].

٣- سعة فضل الله ورحمته لعباده، حيث إنه لا يظلم أحدا سبحانه.

٤- سعة علم الله سبحانه واطلاعه على أحوال خلقه، وذلك مستلزم لمعرفة من يستحق الظلم ممن لا يستحقه.

٥- كرم الله وفضله على عباده بتضعيف الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

٦- أن رحمة الله سبحانه سبقت غضبه، لأنه يضاعف الحسنات، أما السيئات فلا تزاد على العبد لقوله سبحانه﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾

٧- أن الله يمن على عبده المسلم بالثواب زيادة على التضعيف كما قال سبحانه في هذه الآية: ﴿ وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾.

٨- أن الحسنة تجذب الحسنة، فقوله: ﴿ وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ فهذا الأجر إنما حصل له بسبب الحسنة الأولى.

٩- وقد سمى سبحانه هذا العطاء أجرا مع أنه لا مقابل له من الأعمال لأنه تابع للأجر الأول على العمل فسمي باسمه من قبيل مجاز المجاورة، ولذا فلا مطمع فيها للمسيئين الذين غلبت سيئاتهم على حسناتهم.

---

(٨٣) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٣٣٣/١

المبحث الرابع: أن الشرك هو الذنب الذي لا يغفر إلا بالتوبة، وما عداه فتحت المشيئة، والمشرك مفتر على الله

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨.

مناسبة الآية لما قبلها

يجوز أن تكون هذه الجملة متعلقة بما قبلها من تهديد اليهود بعقاب في الدنيا، فالكلام مسوق لترغيب اليهود في الإسلام، وإعلامهم بأنهم يتجاوز الله عنهم عند حصول إيمانهم، ولو كان عذاب الطمس نازلا عليهم، فالمراد بالغفران التجاوز في الدنيا عن المؤاخذة لهم بعظم كفرهم وذنوبهم، أي برفع العذاب عنهم، وتتضمن الآية تهديدا للمشركين بعذاب الدنيا يحل بهم فلا ينفعهم الإيمان بعد حلول العذاب.

ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة، وقعت اعتراضا بين قوارع أهل الكتاب ومواعظهم، فيكون حرف﴿ إِنَّ ﴾ لتوكيد الخبر لقصد دفع احتمال المجاز أو المبالغة في الوعيد، وهو إما تمهيد لما بعده لتشنيع جرم الشرك بالله ليكون تمهيدا لتشنيع حال الذين فضلوا الشرك على الإيمان، وإظهارا لمقدار التعجيب من شأنهم الآتي في قوله:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ النساء: ٥١

أي فكيف ترضون بحال من لا يرضى الله عنه..

وإما أن يكون استئناف تعليم حكم في مغفرة ذنوب العصاة: ابتدئ بمحكم وهو قوله: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ وذيل بمتشابه وهو قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فالمغفرة مراد منها التجاوز في الآخرة (٨٤).

سبب نزول الآية:

أخرج الطبري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الزمر: ٥٣.قام رجل فقال: والشرك يا نبي الله فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٨٥).

كما أخرجه أيضا عن ابن عمر بلفظ قال: كنا معشر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نشك في قاتل المؤمن، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرحم، حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فأمسكنا عن الشهادة (٨٦).

---

(٨٤) ينظر التحرير والتنوير ٨٠/٥.

(٨٥) جامع البيان ١٢٢/٧، وأخرجه ابن المنذر في تفسيره من طريق أبي مجلز ص٧٣٩ح١٨٥٦، وينظر معالم التنزيل ٢٣٢/٢، وزاد المسير ١٠٣/٢.

(٨٦) جامع البيان ١٢٣/٧، وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر نحوه ينظر مسند أبي يعلى ١٨٥/١٠ح٥٨١٣، وكذلك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١١/١٠وقال: رواه البزار بإسناد جيد، وأخرج نحوه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ٣٥٧/١٢ح١٣٣٣٢، وساق ابن كثير عدة أحاديث في تفسيره حول هذه الآية ينظر تفسير القرآن العظيم ١٣٣/٣-١٣٤، وكذلك السيوطي في الدر المنثور ٤٧٠/٤-٤٧٣ ساق عدة أحاديث حول هذه الآية، وينظر لباب النقول في أسباب النزول ص٧٠.

قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ تحـدث سـبحانه عـن نفسه بـصيغة الغائب تعظيما لـه، كمـا يقـول الملـك لجنـوده: إن الملـك يـأمركم أن تتجهـوا إلى المكـان الفلانـي، فيكـون هـذا مـن بـاب التعظـيم، أي: أن تحـدث المتحـدث عـن نفسه بـصيغة الغائب يعد تعظيما.

وقوله: ﴿ لَا يَغۡفِرُ ﴾ المغفرة الستر مع تجاوز، ويدل على أن المعنـى المركـب مـن الستر والتجـاوز الاشـتقاق، لأن المغفـرة مـأخوذة مـن المغفـر: وهـو الـذي يوضـع علـى الرأس يُتقى به السهام، وإذا وضع على الرأس واتقي به الـسهام صـار فيـه سـتر ووقايـة [٨٧].

والـشرك: هـو صـرف شـيء مـن العبـادة لغـير الله، فهـو تـنقص لـرب العـالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به، كمـا قـال تعـالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ وقـال تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾ البقرة: ١٦٥ [٨٨].

وقوله: ﴿ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ يشمل الإشـراك: في الربوبيـة والإشـراك: في الألوهيـة الـتي هـي العبـادة، والثالـث الإشـراك: في الأسمـاء والـصفات، فـالله لا يغفـره، لأن جانب التوحيد أعظم الجوانب حقا أن يوفى به، فإذا أخل بـه الإنـسان فـإن الله سـبحانه لا يغفره، بخلاف المعاصي الأخرى التي دونـه أو الـتي سـوى الـشرك فـإن الله يغفرهـا، فمن اعتقد أن مع الله خالقا فهو مشرك..

---

(٨٧) ينظر ذيب اللغة (غفر)١٠٥/٨، ومعجم مقاييس اللغة (غفر) ٣٨٥/٤.

(٨٨) ينظر معارج القبول ٤٤٢/١، وفتح ا يد شرح كتاب التوحيد باب الخوف من الشرك ص٧٢.

وفي العبادة: من سجد لغير الله، أو نذر لغير الله، أو ذبح لغير الله، فهو مشرك، ومن أشرك بالله في العبادة رياء فهو مشرك..

وكذلك من زعم أن لله مثيلا في صفاته، أو أن استواء الله على عرشه كاستواء الإنسان على السرير وما أشبه ذلك، فهو مشرك، وكل هذا لا يغفره الله (٨٩).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ أي: لا يتجاوز ولا يستر الإشراك به.

وقال ابن جرير: وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه ذنبه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله تبارك وتعالى(٩٠).

وأخرج البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال: **(بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا وقرأ هذه الآية كلها، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه)** (٩١).

قوله: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ المراد بما دون ذلك أي: ما هو أصغر من ذلك، فهو مأخوذ من الدون الذي هو أقل، لا من الدون الذي بمعنى سوى، لأنه لو فسر بمعنى ما سوى ذلك لكان كفر الجحود داخلا في الآية وليس كذلك، أي: لزم أن

---

(٨٩) ينظر فتح ا يد باب الخوف من الشرك ص٧٢، وأضواء البيان ٣٩٣/١، وتفسير سورة النساء للعثيمين ٣٨٧/٢.

(٩٠) جامع البيان ١٢٣/٧.

(٩١) صحيح البخاري كتاب الحدود باب الحدود كفارة ١٥/٨ح٦٧٨٤، وصحيح مسلم كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها ١٣٣٣/٢ح١٧٠٩.

يغفر الله كفر الجحود، لأنه سوى الشرك، قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ ﴾ أي: للذي يشاء، فعلى هذا يكون الشرك وما كان بمنزلته من كفر الجحود ونحوه غير مغفور، وما دون ذلك فهو تحت المشيئة، فليس مغفورا ولا مؤاخذا به، بل هو تحت المشيئة (٩٢).

قوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يشرك بالله في عبادته غيره من خلقه﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ يقول: فقد اختلق إثما عظيما، وإنما جعله عز ذكره مفتريا، لأنه قال زورا وإفكا بجحوده وحدانية الله، وإقراره بأن لله عز وجل شريكا من خلقه أو صاحبة أو ولدا، فقائل ذلك مفتر، وكذلك كل كاذب فهو مفتر في كذبه مختلق له (٩٣).

والافتراء: افتعال من فرى يفري وأصل معناه القطع، ويطلق على الكذب والإفساد لأن قطع الشيء الصحيح مفسد له، والشرك بالقول لا يكون إلا كذبا وبالفعل لا يكون إلا إفسادا، قال الراغب: الفري: قطع الجلد للخرز والإصلاح، والإفراء للإفساد والافتراء فيهما وفي الإفساد أكثر وكذلك استعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم (٩٤).

وأما الحكمة في عدم مغفرة الشرك فهي: أن الدين إنما شرع لتزكية نفوس الناس وتطهير أرواحهم وترقية عقولهم، والشرك هو منتهى ما تهبط إليه عقول البشر وأفكارهم ونفوسهم ومنه تتولد جميع الرذائل والخسائس التي تفسد البشر في أفرادهم وجمعياتهم، لأنه عبارة عن رفعهم لأفراد منهم أو لبعض المخلوقات التي هي دونهم

---

(٩٢) ينظر المحرر الوجيز ١٤٤/٤، وزاد المسير ١٠٣/٢، وتفسير سورة النساء للعثيمين ٣٨٨/١.
(٩٣) جامع البيان ١٢٣/٧.
(٩٤) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢٩/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٦٠/٢، والمفردات للراغب (فرى)ص٣٧٩، والوسيط للواحدي ٦٥/٢.

أو مثلهم إلى مرتبة يقدسونها ويخضعون لها ويذلون بدافع الشعور بأنها ذات سلطة عليا فوق سنن الكون وأسبابه، وإن إرضاءها وطاعتها هو عين طاعة الله تعالى أو شعبة منها لذاتها، فهذه الخلة الدنيئة هي التي كانت سبب استبداد رؤساء الدين والدنيا بالأقوام والأمم واستعبادهم إياهم وتصرفهم في أنفسهم وأموالهم ومصالحهم ومنافعهم تصرف السيد المالك القاهر بالعبد الذليل الحقير، والتوحيد الذي يناقض الشرك هو عبارة عن إعتاق الإنسان من رق العبودية لكل أحد من البشر وكل شيء من الأشياء السماوية والأرضية وجعله حرا كريما عزيزا لا يخضع خضوع عبودية مطلقة إلا لمن خضعت لسننه الكائنات [٩٥].

ما يستنبط من الآية

١- وجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة.

٢- عظم الشرك بالله سبحانه، فهو الذنب الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة.

٣- إثبات الأفعال الاختيارية لله عز وجل، خلافا للفرق الضالة عن منهج أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل [٩٦].

٤- أن ما دون الشرك من الذنوب داخل تحت مشيئة الله سبحانه، إن شاء غفره وإن شاء عاقبه عليه.

٥- أن المشرك مفتر على الله، كما أخبر سبحانه: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾.

٦- عظم الكذب على الله سبحانه فقد وصفه سبحانه بأنه قد افترى ﴿ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ وفي آية أخرى ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء: ١١٦ [٩٧].

(٩٥) ينظر تفسير القرآن الحكيم ١٤٨/٥-١٤٩.
(٩٦) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٣٩٠/١.

المبحث الخامس: ضمان المغفرة، والرحمة، لمن أتبع السيء والظلم، بالاستغفار

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء: ١١٠.

مناسبة الآية لما قبلها

اعتراض بتذييل بين جملة ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ ﴾ النساء: ١٠٩ وبين جملة ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ (٩٨).

قال ابن جرير: واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها الذين وصفهم الله بالخيانة بقوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ النساء: ١٠٧.

وقال آخرون: عني بها الذين كانوا يجادلون عن الخائنين الذين قال الله لهم: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ النساء: ١٠٩.

قلت: يشير ابن جرير بذلك إلى قصة الذي أو دع درعا عند طعمة بن أبيرق فجحدها طعمة، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ النساء: ١٠٥ بني أبيرق (٩٩).

=(٩٧) نفس المصدر السابق ٣٩١/١.

(٩٨) ينظر التحرير والتنوير ١٩٥/٥.

(٩٩) قصة بني أبيرق أخرجها الطبري من عدة طرق جامع البيان ٤٦٣/٧-٤٧٤، وأخرجها الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة النساء ٢٤٤/٥ح٣٠٣٦وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعلم أحدا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٨٥/٤-٣٨٨وصححه وسكت عنه الذهبي.وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٧٧/٤ وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وذكره أيضا في لباب النقول في أسباب النـ ول ص٨٢.

ثم قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا: أنه عني بها كل من عمل سوءا أو ظلم نفسه، وإن كانت نزلت في أمر الخائنين والمجادلين عنهم، الذين ذكر الله أمرهم في الآيات قبلها (١٠٠).

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾ قال الليث: ساء يسوء: فعل لازم ومجاوز، يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيء إذا قبح، والسوء الاسم الجامع للآفات والداء، ويقال: سؤت وجه فلان، وأنا أسوؤه مساءة ومسائية، قال: والمساية لغة في المساءة، تقول: أردت مساءتك ومسايتك، ويقال أسأت إليه في الصنيع، وايتاء فلان في الصنيع من السّو بمنزلة اهتم، من الهم، أو أساء فلان الخياطة والعمل، وقال الليث: يقال: ساء ما فعل صنيعا يسوء، أي قبح صنيعه صنيعا، قال: والسيء والسيئة: عملان قبيحان، يصير السيئ نعتا للذّكر من الأعمال، والسيئة للأنثى، والله يعفو عن السيئات، والسيئة: اسم كالخطيئة، قال: والسوءا- بوزن فعلى- : اسم للفعلة السيئة، بمنزلة الحسنى للحسنة محمولة على جهة النعت في حد أَفْعَلَ وَفَعْلَى كالأسوأ والسوءا، وقال ابن السكيت: يقال: إن أخطأت فخطيئتي وإن أسأت فسوّي عليّ: أي: قبح عليّ إساءتي (١٠١).

فيكون المراد بالسوء: ما يسوء غيره، كما يدل على هذا أن الآيات كلها في سياق قصة معينة، فيكون المراد بالسوء ما يسوء الغير، كاتهام هؤلاء اليهودي بالسرقة، كما في قصة سبب النزول.

﴿ أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ﴾ يعني: بالمعاصي، لأن المعاصي ظلم للنفس، إذ إن النفس عندك أمانة يجب عليك أن ترعاها حق رعايتها، فإذا عصيت الله فقد ظلمتها، ولهذا

---

(١٠٠) جامع البيان ٤٧٥/٧.

(١٠١) جمهرة اللغة لابن دريد (سأوى) ١٧٨/١، و ذيب اللغة (ساء)١٣٠/١٣-١٣١.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٢ لماذا؟

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.إذا هو يظلم نفسه بالمعاصي التي بينه وبين ربه، ويعمل سوءا يسيء به إلى غيره.

قوله: ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ أي: يطلب مغفرة الله عز وجل، بحاله ومقاله، أما المقال فظاهر، كأن يقول: اللهم اغفر لي، أو أستغفر الله، وأما الحال: فبأن يكون آتيا بشروط التوبة، والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه، وليست الستر فقط، لأن الاشتقاق يدل على أنه لابد من ستر ووقاية، لأنها مأخوذة من المغفر، وهو ما يغطي الرأس في الحرب لاتقاء السهام (١٠٢).

قال ابن جرير: يخبر الله تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب إليه، تاب عليه من أي ذنب كان، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء: ١١٠

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: أخبر الله عباده بعفوه وحلمه وكرمه، وسعة رحمته، ومغفرته فمن أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ولو كانت ذنوبه أعظم من السماوات والأرض والجبال.

وأخرج أيضا عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنبا أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البول شيئا منه قرضه بالمقراض، فقال رجل: لقد آتى الله بني إسرائيل خيرا.فقال عبد الله: ما آتاكم

---

(١٠٢) ينظر ـذيب اللغة(غفر) ١٠٥/٨، ومعجم مقاييس اللغة (غفر)٣٨٥/٤.

الله خير مما آتاهم، جعل الله الماء لكم طهورا، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٣٥، وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[١٠٣].

قوله: ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ كأن يقول: اللهم اغفر لي، أو أستغفر الله.

لقد وجه سبحانه عباده المسيئين والظالمين لأنفسهم إلى الاستغفار، وهذا كرم منه سبحانه وجود، ورحمة بالمسيئين من عباده، كما أن فوائد الاستغفار ليست خاصة بالمسيئين، بل قد أخبر سبحانه بحصول عدة مزايا للمستغفرين من عباده حيث قال: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٠ – ١٢. فقد ضمن سبحانه للمستغفر في هذه الآية، ستة أمور: الأول: المغفرة.الثاني: إرسال المطر المدرار.الثالث: الإمداد بالأموال.الرابع: الإمداد بالبنين.الخامس: جعل جنات للمستغفر.السادس: جعل أنهارا للمستغفر أيضا.

ولو نظرنا إلى حال أفضل هذه الأمة وأزكاها، لوجدناه صلى الله عليه وسلم ملازما للاستغفار، في مجالسه، وفي ليله ونهاره، فقد ثبت في السنة عدة أحاديث عنه صلى الله عليه وسلم، تحكي حاله مع الاستغفار، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أ خرج مسلم عن الأغر المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إنه ليغان[١٠٤] على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)**[١٠٥].

---

(١٠٣) جامع البيان ٤٧٥/٧-٤٧٦، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم(٨٧٩٤)وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١/٧رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٢١٤/٣وقال المحقق: حكمت ياسين: سنده حسن.

وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول **(رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم)** مائة مرة، وفي رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة)**(١٠٦).

قوله: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: أن الله يغفر له، والغفور هو: ذو المغفرة، كما قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ الرعد: ٦. والرحيم: هو ذو الرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ الكهف: ٥٨. فأنت إذا استغفرت الله عز وجل، وتبت إليه على الوجه الذي يرضاه فستجد الله غفورا رحيما.

والرحمة تطلق على الرحمة التي هي صفته، وعلى آثار الرحمة التي هي خلقه.

أما القسم الأول: فهو الأصل، وهو أن الرحمة صفة من صفات الله عز وجل، وأما الثاني: فمنه قوله تعالى للجنة: **(أنت رحمتي أرحم بك من أشاء)**(١٠٧).

=(١٠٤) (ليغان) قال أهل اللغة: الغين والغيم بمعنى واحد، والمراد هنا: ما يتغشى القلب، قال القاضي: قيل المراد العثرات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل، عد ذلك ذنبا، واستغفر منه. حاشية محمد عبد الباقي على صحيح مسلم ٢٠٧٥/٣.

(١٠٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٢٠٧٥/٣ح٢٧٠٢.

(١٠٦) أخرجهما ابن ماجه في كتاب الأدب باب الاستغفار ١٢٥٣/٢ح٣٨١٤، ٣٨١٥، وصححهما الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٣٢١/٢، وأشار إلى الأول منهما في السلسلة الصحيحة ٨٩/٢ح٥٥٦. وأخرج الحاكم عدة أحاديث في هذا الباب وحكم على بعضها بالصحة ووافقه على بعضها الذهبي ينظر المستدرك كتاب الدعاء ٥١٠/١-٥١١.

(١٠٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب سورة ق ٤٨/٦ح٤٥٦٩، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٦/٣ح٢٨٤٦.

وليس المعنى الرحمة التي هي وصفه، لأن الجنة مخلوق بائن، أما الرحمة التي هي وصفه فإنها تنقسم عند أهل العلم إلى قسمين: عامة وخاصة، فالعامة: هي التي تشمل كل مخلوق، ولذلك نجد أن الكفار لله تعالى عليهم رحمة، فرزقهم وأمدهم بالأموال، وأعطاهم عقولا يدركون بها، لا عقول رشد وتصرف، وكل ما مر بك من ذكر اسم الرحيم فالمراد الرحمة العامة، وتدخل فيه الخاصة.

وأما الخاصة: فهي المختصة بالمؤمنين، وهي التي تتصل بها سعادة الدنيا والآخرة، ومثالها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٣ (١٠٨).

ولعل المراد بوجدان الله غفورا رحيما، هو أن التائب المستغفر يجد أثر المغفرة في نفسه بكراهة الذنب وذهاب داعيته، ويجد أثر الرحمة بالرغبة في الأعمال الصالحة التي تطهر النفس وتزيل ذلك الدرن منها، كما قيل: رب معصية أورثت ذلا وانكسارا، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا.والمراد الذل والانكسار لله عز وجل الذي يورث صاحبه العزة والرفعة (١٠٩).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار)** (١١٠).

---

(١٠٨) ينظر تفسير سورة النساء للعثيمين ١٩٦/٢.
(١٠٩) ينظر تفسير القرآن الحكيم ٣٩٩/٥.
(١١٠) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب الرجاء مع الخوف ١٨٢/٧ح٦٤٦٩.

مقتضى هذا الحديث أن الله علم أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع، فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم، فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي فبلغت مائة، وكلها للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٣ فإن رحيما من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها، ويفهم من هذا أن الكفار لا يبقى لهم حظ من الرحمة لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها، إذا كمل كل ما كان في علم الله من الرحمات للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٦ [١١١].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنـزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولـدها خشية أن تصيبه)** [١١٢].

قال ابن أبي جمرة: (في الحديث إدخال السرور على المؤمنين، لأن العادة أن النفس يكمل فرحها بما وهب لها إذا كان معلوما مما يكون موعودا، وفيه الحث على الإيمان، واتساع الرجاء في رحمات الله تعالى المدخرة)[١١٣].

---

(١١١) ينظر فتح الباري ٤٣٢/١٠.

(١١٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه ٢١٠٧/٣ح٢٧٥٢، وأخرج الإمام أحمد في المسند ١٩٥/١٦ح١٠٢٨٠ عن أبي هريرة نحوه، ونحوه أيضا عند أبي يعلى عن أبي هريرة، مسند أبي يعلى ٢٥٨/١١ح٦٣٧٢.

(١١٣) فتح الباري كتاب الأدب باب جعل الله الرحمة في مائة جزء ٤٣٣/١٠ح٦٠٠٠.

وهذا الحديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين: قال العلماء: (لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار — المبنية على الأكدار —بالإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه، وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء)(١١٤).

ولهذا فإن على المسلم أن يكون دائما متجها إلى الله بجناحين: أحدهما: الخوف، والآخر: الرجاء، من الذين: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء: ٥٧.

وأخرج الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ما من مسلم يذنب ذنبا، ثم **يتوضأ** ثم **يصلي ركعتين** ثم **يـستغفر الله لـذلك الذنب، إلا غفر له، وقرأ هاتين الآيتين:**

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ (١١٥). فهذه الأحاديث التي ذكرتها، وسواها كثير في السنة المطهرة تركتها خشية الإطالة، تدل على كرم الله

---

(١١٤) صحيح مسلم شرح النووي كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى، وأ ا سبقت غضبه ٥٩٦/٥ح٢٧٥٢.

(١١٥) مسند الإمام أحمد ٢١٨/١ ح٤٧، وإسناده حسن كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٤٢٦/٢، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده ٢٥/١ح١٤وقال محقق المسند: حسين سليم أسد: إسناده صحيح، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب ومن سورة آل عمران ٢٢٨/٥ح٣٠٠٦وحسن إسناده، وقال ابن حجر في ذيب التهذيب ٢٦٨/١وهذا الحديث جيد الإسناد.وقد ذكر الحافظ ابن كثير عند تفسيره لهاتين الآيتين أعني آية آل عمران ١٣٥ وآية النساء ١١٠ كثيرا من الأحاديث التي

وجوده على عباده، وسعة رحمته، وقرب عفوه للمسيئين المستغفرين من عباده، ولا مطمع فيها للمصرين والمشركين من عباده المقصرين.

ومما يلاحظ في هذه الآية: أن الأفعال، يعمل، ويظلم، ويستغفر، ويجد، جاءت بالفعل المضارع الدال على التجدد، وهذا دليل وحافز للمرء المسلم، بعدم اليأس والقنوط، مهما كثرت الذنوب، حاضرا أو مستقبلا.

كما أن التعبير بقوله سبحانه: يجد الله، مشعر بأن الإجابة مضمونة، إذا أخلص العبد بالتوبة.

ما يستنبط من الآية

١- تنوع الذنوب والمعاصي، فمنها ما هو جناية على الخلق، ومنها ما هو جناية على النفس [١١٦].

٢- أن من طبيعة بني آدم مقارفة المعاصي، والوقوع في الظلم **(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)** [١١٧].

٣- أن من أساء إلى غيره ثم اعترف بذنبه واستغفر الله، غفر الله له ذنبه.

٤- أن من ظلم نفسه فوقع في تقصير في أمر، أو وقع في نهي، ثم استغفر الله غفر الله له ذنبه.

=تدل على سعة رحمة الله عز وجل، تركتها خشية الإطالة فمن أراد الاستزادة فليرجع إليها في ٢/٢٢٥-٢٢٨، ٣/٢١٤-٢١٥

(١١٦) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٢/١٩٤.

(١١٧) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب٤٩، ٤/٦٥٩ح٢٤٩٩وقال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر التوبة ٢/١٤٢٠ح٤٢٥١وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/٤١٨ح٤٢٥١، وفي تخريج المشكاة ٢/٧٢٤ح٢٣٤١.

٥- سعة رحمة الله على عباده، فإن التوبة من الذنب تصح ولو تكرر عدة مرات ما لم يصر المسيء على ذنبه.

٦- شؤم المعاصي وأنها ظلم للنفس، فالله يريد أن يتوب علينا ونحن نقع في ظلم أنفسنا﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٥٧.

٧ - أن الإنسان قد يكون عدوا لنفسه، كما أن أقرب الناس إليه قد يكونوا أعداء له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ التغابن: ١٤ (١١٨).

٨- أن من الأدلة على ظلم الإنسان لنفسه، شهادة جوارحه عليه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾فصلت: ٢١

٩- قرب الله من عبده وسرعة استجابته له إذا استغفر من ذنبه كما قال سبحانه: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء: ١١٠.

١٠- كرم الله وجوده على عباده، فقد أضاف إلى مغفرته لعبده إذا استغفر لذنبه، رحمته له، وذلك كرم منه سبحانه لعلمه بضعف العبد وعجزه وحاجته إلى رحمة ربه.

١١- سعة رحمة الله على عباده وخاصة المذنبين منهم، فمهما عمل العبد من السوء أو وقع في الظلم، فإن الله يغفر له ويرحمه، متى لجأ إليه واستغفره.

---

(١١٨) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٢/٢٠٠.

المبحث السادس: ثبوت الأجر للمؤمنين بالله ورسله، والبشارة لهم بالمغفرة والرحمة

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ النساء: ١٥٢.

مناسبة الآية لما قبلها

جيء بهذه الآية لمقابلة المسيئين بالمحسنين، والنذارة بالبشارة على عادة القرآن.

وقيل: لما ذكر الله في الآية السابقة حال الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ذكر في هذه الآية حال الذين يجمعون في الإيمان بين الجميع، وهذه من عادة القرآن أن يذكر الحالين، فإذا ذكر حالا ذكر بعدها ما يضادها، فيذكر العقوبة ثم يتبعها بذكر المثوبة وهكذا، لأنه مثاني تثنى فيه المعاني، ولهذا فوائد عظيمة فهو يشد الذهن ويقوي النفس إلى ما يتلى أو يسمع، ولكي يكون سير الإنسان إلى ربه بين طرفي النقيض: الإفراط والتفريط، لأن الإنسان لو غلب جانب الرجاء لحصل له الأمن من مكر الله، ولو غلب جانب الخوف لحصل له اليأس والقنوط من رحمة الله (١١٩).

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ الإيمان بالله، لغة: هو الإقرار أو التصديق، قال أبناء يعقوب لأبيهم: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ **يوسف: ١٧** أي: بمصدق لنا، لكن الإقرار وحده لا يكفي بل لابد من العمل كما قال سبحانه في عدة آيات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ **البقرة: ٢٧٧** وكما هو تعريف الإيمان في الشرع.

وفي الشرع: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

---

(١١٩) ينظر التحرير والتنوير ١٢/٦، وتفسير سورة النساء للعثيمين ٢٩٧/٢-٢٩٨.

أما أركان الإيمان فهي ستة: كما ذكرها صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل الطويل: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره (١٢٠).

أما الإيمان بالرسل: فهو الإيمان بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله سبحانه وتعالى، فما ورد ذكره منهم على التفصيل فيجب الإيمان به على التفصيل، وكذا ما جاء به الخبر مجملا فيجب الإيمان بما أخبرنا به سبحانه كقوله: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ النساء: ١٦٤.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ المراد هنا عدم التفريق في أصل الإيمان لا في العمل، ففي أصل الإيمان نؤمن بالجميع، وأنهم كلهم رسل من رب العالمين، وأما العمل فلكل نبي شريعة تخصه وقومه كما قال سبحانه:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨.(١٢١)

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ النساء: ١٥٢

﴿أُولَٰئِكَ ﴾ أتى باسم الإشارة هنا تعظيما لهم، وجاءت بصيغة البعيد لعلو منزلتهم، قوله﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ ﴾ سوف والسين تتناوبان على الفعل المضارع، ويفرق بينهما: بأن السين للتحقيق والتقريب، وسوف للتحقيق مع البعد، وهل سوف أبلغ في التنفيس من السين، أو هما سيان؟ في ذلك خلاف، ومذهب البصريين أن سوف أبلغ (١٢٢).

---

(١٢٠) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام..٣٦/١ح٨، وينظر كتاب الإيمان لابن منده ١١٩/١، وشرح الطحاوية ص٣٥٠.

(١٢١) ينظر تفسير سورة النساء للعثيمين ٣٩٨/٢.

(١٢٢) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ص٥٩، ٤٥٨، وحروف المعاني للزجاجي ص٥، و تهذيب اللغة(ساف)٩٢/١٣، ومفردات الراغب كتاب السين ص٢٤٩.

وقد أورد الشيخ العثيمين هنا سؤالا : هل إيتاؤهم أجورهم كان بعيدا؟

ثم أجاب : هو بعيد قريب ، أما من جهة امتداده ، وأن الله تعالى يجازيهم شيئا فشيئا ، ثم يأتي الجزاء الأوفى يوم القيامة فهو لا شك أنه بعيد ، وأما كون كل آت قريبا فهو قريب ، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الشورى: ١٧ [١٢٣].

وروى حفص عن عاصم : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ ﴾ بالياء ، وروى أبو بكر عن عاصم ﴿ يُؤْتِيهِمْ ۗ ﴾ بالنون.وقرأ حمزة : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ ﴾ بالنون ، وكذلك قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر والكسائي [١٢٤].

قوله : ﴿ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ ﴾ هذا وعد من الله بأنه سيؤتيهم أجورهم ، ولم يبين مقدار الأجر هنا ولكنه قد ورد في آيات أخرى كثيرة وكذلك في السنة ، فالله يجزي للعامل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

قوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ٩٦ ختم الله سبحانه هذه الآية بصفتي المغفرة والرحمة ، وهذا لما يعلمه سبحانه من عباده من العجز والقصور ، والوقوع في المخالفات أحيانا ، فلذا من كرمه وجوده يغفر لهم ويستر عليهم ويرحم ضعفهم وقصورهم.

ما يستنبط من الآية

١- أن القرآن مثاني تثنى فيه القصص والمواعظ ، وكذا الترغيب والترهيب [١٢٥].

---

(١٢٣) ينظر تفسير سورة النساء للعثيمين ٤٠٠/٢.

(١٢٤) السبعة في القراءات ص٢٤٠، والحجة للقراء السبعة ١٨٨/٣، وإرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر ص٢٩٠. والبحر المحيط ٣٨٦/٣.

٢- عظم ثواب الإيمان بالله، وهذا يتفاوت حسب زيادة الإيمان ونقصانه.

٣- وجوب الإيمان بالرسل، وهو ركن من أركان الإيمان.

٤- عدم التفريق بين الرسل فدعوتهم واحدة، لكن الشرائع تختلف في التفاصيل.

٥- الإشارة إلى أولئك الصنف من المؤمنين بلفظ يفيد التعظيم وذلك لعلو منزلتهم عند الله سبحانه [١٢٦].

٦- أن الدنيا دار عمل، والجزاء يكون في الآخرة، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ ﴾.

٧- وعد الله لعباده المؤمنين أعظم الجزاء إذا حققوا الإيمان به ورسله.

٨- أن الله جمع لعباده بين الوعد والبشارة، فوعدهم بالأجر، وبشرهم بالمغفرة والرحمة.

٩- إثبات اسمين من أسماء الله: الغفور والرحيم، فالغفور مقابل الذنوب، والرحيم مقابل الجزاء والثواب، فالمغفرة تتعلق بالذنب، والرحمة تتعلق بحصول المطلوب من الجزاء والثواب [١٢٧].

الخاتمة وفيها أهم النتائج

١- سعة علم الصحابيين الجليلين، ودقة فهمهما، ولا عجب في ذلك، فقد دعا صلى الله عليه وسلم، لابن عباس فقال: **(اللهم فقهه في الدين)**[١٢٨] وقال في ابن

=(١٢٥) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٤٠٠/٢

(١٢٦) ينظر تفسير القرآن الكريم سورة النساء ٣٩٩/٢.

(١٢٧) نفس المصدر السابق ٤٠٥/٢.

مسعود: **(من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)**[١٢٩].

٢- اشتمال هذه الآيات مع قصرها، على مزايا، وبشارات، لم تجتمع في غيرها، ولهذا اتفق على اختيارها العَلَمَان الجليلان.

٣- أن القضايا التي تناولتها تلك الآيات تعتبر قضايا أساسية في حياة المرء المسلم، ولذلك أشار إليها الصحابيان الجليلان دون غيرهما.

٤- البيان الواضح الجلي في هذه الشريعة، لكل ما يحتاجه العبد المسلم في معاشه ومعاده.

٥- أن الله قد هدى هذه الأمة إلى سنن الأمم السابقة، وأنه يريد أن يتوب عليهم، ولذلك يسر لهم سبل التوبة، ومَنَّ عليهم بقبولها.

٦- فضح الله سبحانه، لإرادة متبعي الشهوات، وكشف مخططاتهم لإضلال عباد الله.

٧- إرادة الله التخفيف على عباده فيما شرع لهم، لعلمه سبحانه بضعفهم وعجزهم.

٨- أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، وقد وعد سبحانه عباده المؤمنين بتكفير الصغائر إذا اجتنبوا الكبائر، وبشرهم بإدخالهم مدخلا كريما.

=(١٢٨) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء، وهذا لفظه، ٤٥/١ح ١٤٣، وأخرجه مسلم بلفظ: اللهم فقهه، في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عبد الله بن عباس ١٩٢٧/٢ح٢٤٧٧.

(١٢٩) أخرجه ابن م جه في المقدمة، فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٤٩/١ح١٣٧، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢٩/١ح١١٤.

٩- تنزه الباري جل وعلا عن الظلم بجميع صوره وأشكاله، وتكرمه سبحانه بتضعيف الحسنات، وتفضله من لدنه بالأجر العظيم.

١٠- شدة خطر الشرك، وأن المشرك مفتر على الله، وهو الذنب الوحيد الذي لا يغفر إلا بالتوبة، ومغفرته سبحانه لما دون ذلك لمن يشاء.

١١- أن البشر مطبوعون على عمل السوء، واقتراف الظلم، لكن تفضل الله عليهم بالوعد بالمغفرة، لمن لم يصر على الذنب، واستغفر الله سبحانه.

١٢- عظم منزلة الإيمان بالله ورسله، ووعد الله لمن حقق ذلك بالأجور العظيمة، مع البشارة بالمغفرة والرحمة منه سبحانه وتعالى.

المصادر والمراجع

[١] *الأحاديث القدسية*، مجموعة من الموطأ والصحيحين والسنن الأربع، من منشورات دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، طبع عام ١٤٠٢هـ.

[٢] *الإيمان*، لابن منده: محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: د/علي بن محمد الفقيهي، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠١هـ.

[٣] *إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر*، للقلانسي، محمد بن الحسين، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

[٤] *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، للشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٣هـ.

[٥] *أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك*، لابن هشام، عبدالله جمال الدين بن يوسف الأنصاري المصري، ولم يذكر الناشر ولا سنة النشر على المطبوع.

[٦] *البحر المحيط*، لأبي حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

[٧] *البسيط*، للواحدي، علي بن أحمد الواحدي، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد سعود بالرياض، تحقيق مجموعة من طلبة العلم ١٤٣٠هـ.

[٨] *التاريخ الكبير*، للبخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، مصورة الكتب العلمية بيروت.

[٩] *التبيان في إعراب القرآن*، للعكبري، عبد الله بن الحسين العكبري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

[١٠] *التحرير والتنوير*، للطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، لم يذكر الناشر ولا سنة الطبع.

[١١] *التسهيل لعلوم التنزيل*، للكلبي، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، أشرف عليه: لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي بيروت، عام١٤٠٣هـ.

[١٢] *تفسير ابن المنذر*، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

[١٣] *تفسير الحسن البصري*، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، جمع وتوثيق ودراسة د/محمد عبد الرحيم، دار الحديث القاهرة، ١٩٩٢م.

[١٤] *تفسير سورة النساء*، للعثيمين، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

[١٥] *تفسير القرآن*، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق د/مصطفى مسلم، مكتبة الرشد ١٤١٠هـ.

[١٦] *تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار*، محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

[١٧] *تفسير القرآن العظيم* ، لابن كثير، محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: أ.د: حكمت ياسين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

[١٨] *تفسير كتاب الله العزيز*، للشيخ هود بن محكم الهواري، حققه وعلق عليه: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٠هـ.

[١٩] *التفسير الكبير*، للرازي، محمد بن عمر بن حسين القرشي الشافعي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ولم تذكر سنة النشر.

[٢٠] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، للفيروز أبادي، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشافعي، دار الأشراف، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

[٢١] *تهذيب التهذيب*، لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، سنة ١٣٢٥هـ.

[٢٢] *تهذيب اللغة*، للأزهري، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق الأستاذ: إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي، ولم تذكر سنة الطبع.

[٢٣] *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، للسعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د/عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

[٢٤] *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، للطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

[٢٥] *الجامع لأحكام القرآن*، للقرطبي، أحمد بن محمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ.

[٢٦] *الجدول في إعراب القرآن*، ، تصنيف: محمود صافي ولينة الحمصي، دار الرشيد دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

[٢٧] *الجرح والتعديل*، للرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم الحنظلي الرازي، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى سنة١٢٧١هـ.

[٢٨] جمهرة *اللغة*، لابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي البصري، دار صادر بيروت، ولم تذكر سنة الطبع.

[٢٩] *الجنى الداني في حروف المعاني*، للمرادي، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د/فخر الدين قباوة والأستاذ: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

[٣٠] *الحجة للقراء السبعة*، للفارسي، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، حققه: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث ١٤٠٤هـ.

[٣١] *حروف المعاني*، للزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، حققه د/علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

[٣٢] *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، للحلبي، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د/أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

[٣٣] *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

[٣٤] ديوان المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار المعرفة بيروت.

[٣٥] *رياض الصالحين*، للنووي، يحيى بن شرف النووي، حققه: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، دار المأمون للتراث، عام ١٤٠٢هـ.

[٣٦] *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني*، للألوسي، محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

[٣٧] *زاد المسير في علم التفسير*، لابن الجوزي، عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ولم تذكر سنة النشر.

[٣٨] *الزهد*، لهناد بن السري الكوفي، حققه: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

[٣٩] *السبعة في القراءات*، لابن مجاهد، تحقيق د/شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

[٤٠] *سلسلة الأحاديث الصحيحة*، للألباني، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

[٤١] *سنن سعيد بن منصور،* تحقيق د/سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

[٤٢] *سنن ابن ما جة،* محمد بن عبد الله القزويني، دار الدعوة، تركيا، ١٣٧٣هـ.

[٤٣] *سنن الترمذي،* محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الدعوة، تركيا ١٣٥٧هـ.

[٤٤] *الشرح الممتع على زاد المستقنع،* للشيخ: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض.

[٤٥] شرح *السنة،* للبغوي، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤط وزهير الشاويش، ١٣٩١هـ.

[٤٦] *شرح الطحاوية في العقيدة السلفية،* للحنفي، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.

[٤٧] شعب *الإيمان،* للبيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

[٤٨] صحيح *البخاري،* محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة، تركيا.

[٤٩] صحيح *سنن ابن ماجه،* للألباني، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

[٥٠] صحيح *مسلم بن الحجاج،* دار الدعوة، تركيا.

[٥١] *الضوء المنير على التفسير،* جمع: علي الحمد الصالحي، الناشر: مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة السلام، ولم تذكر سنة الطبع.

[٥٢] *طريق الهجرتين وباب السعادتين*، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

[٥٣] *فتح الباري*، لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق سماحة الشيخ: عبد العزيز بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

[٥٤] *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، للشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ولم تذكر سنة الطبع.

[٥٥] *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، أنصار السنة المحمدية لاهور ١١٩٣هـ.

[٥٦] *الكبائر*، للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد سعيد الشرقاوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ولم تذكر سنة الطبع.

[٥٧] *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، للزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، توزيع دار الباز مكة المكرمة، دار المعرفة بيروت، ولم تذكر سنة الطبع.

[٥٨] *لباب النقول في أسباب النزول*، للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

[٥٩] *لسان العرب*، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

[٦٠] *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، لابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بمكناس، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ولم تذكر سنة الطبع.

[٦١] *مجاز القرآن*، لأبي عبيدة، معمر بن المثنى، تعليق: د/محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

[٦٢] *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، للهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

[٦٣] مجموع *الفتاوى*، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ومساعدة ابنه محمد، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية ١٤٢٥هـ.

[٦٤] *مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني*، المشرف العام على الموسوعة د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

[٦٥] *مسند أبي يعلى الموصلي*، أحمد بن علي المثنى التميمي، حققه: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

[٦٦] *مشكاة المصابيح*، للتبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

[٦٧] مشكل *القرآن وغريبه*، لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار المعرفة بيروت لبنان توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة.

[٦٨] *مصنف عبد الرزاق*، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

[٦٩] *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*، حافظ أحمد الحكمي، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

[٧٠] *معالم التنزيل*، للبغوي، الحسين بن مسعود البغوي، حققه مجموعة من العلماء، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ١٤٠٩هـ.

[٧١] *معاني القرآن وإعرابه*، للزجاج، إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق: د/عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

[٧٢] *معاني القرآن*، للأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق: د/عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

[٧٣] *المعجم الكبير*، للطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

[٧٤] معجم *مقاييس اللغة*، لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

[٧٥] *المفردات في غريب القرآن*، للراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد السيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

[٧٦] *المنار المنيف في الصحيح والضعيف*، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ١٤٠٣هـ.

[٧٧] *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*، للواحدي، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

Eight Verses of the Tasks of NISA

Ali ibn Umar Suhaibani
Associate Professor Department of Quran
Qassim University, Department of Law and studies

(Received 28/5/1432H; accepted for publication 13/3/1433H)

Abstract. This is a summary of the research: (eight verses of the tasks of NISA)

This research consists of an introduction, preface, six Detectives, and a conclusion.

Provided and the importance of the subject and the reason for his choice, and text effects to boot it from Ibn Abbas and Ibn Mas'ud - may God be pleased with them - and attributed to the output of the Sunni scholars and judged،

The first topic: talk about the verses of the first three: in which the will of God is our statement of this religion, and to guide him, and repentance of sins and the sins, and reduce costs, and the will of the followers of desires us to tilt the Great to haraam desires. And the second topic: the security of God to those who avoid the major sins that expiate for minor sins with him, and enters the holy entrance. The third topic: the promenade God for the injustice in all its forms is not a shortage of good deeds or an increase in evil deeds, good deeds, But doubling the delivery of good deeds with a great reward.

The fourth section: that the polytheist and a forger to God, and that does not forgive Shirk, but to repent, and what else the sins of will is opened. And Section V: the guarantee of forgiveness and mercy for those who follow the evil of injustice for forgiveness. And Section VI: the evidence of wage of the believers in Allah and His messengers, and The Annunciation of forgiveness and compassion.